

التبيان في تفسير القرآن

(385) " فريقا هدى ". وقوله " وفريقا حق عليهم الضلالة " لتقابل فريقا هدى بعطف فعل على فعل، وتقديره وفريقا أضل إلا أنه فسر مابعد نظير قوله " يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما " (1). وقال الفراء: نصب فريقا على الحال، والعامل فيه (تعودون) فريقا، والثاني عطف عليه، ولو رفع على تقدير أحدهما كذا، والآخر كذا، كان جائزا كما قال " قد كان لكم آية في فئتين التقتا: فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة " (2) والهدي والاضلال في الآية يحتمل أربعة أوجه: أحدها - أنه حكم بأن هؤلاء مهتدون مدحا لهم، وحكم بأن أولئك ضالون ذمالهم. الثاني - الدلالة التي انشراح بها صدور هؤلاء للاهتداء، وضاحت بها صدور أولئك لشدة محبتهم لما هم عليه من مذهبهم. الثالث - هدى بأن لطف هؤلاء بما اهتموا عنده، وصار كالسبب لضلال أولئك بتخيرهم لينتقلوا عن فاسد مذهبهم. الرابع - أنه هدى هؤلاء إلى طريق الثواب، وأولئك لعمى والاضلال عنه بالعقاب في النار. وقوله " انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله " اخبار منه تعالى أنه فعل بهم ما فعل من الضلال، لانهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، والاتخاذ الافتعال من الاخذ بمعنى اعداد الشئ لامر من الامور، فلما أعدوا الشياطين لنصرتهم، كانوا قد اتخذوهم أولياء باعدادهم. وقوله " ويحسبون انهم مهتدون " يعني هؤلاء الكفار يظنون أنهم مهتدون. والحسبان والظن واحد، وهو ما قوي عندالطمان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه أن يكون على غيره، فبالقوة يتميز من اعتقاد التقليد والتخمين، وبالتجويز يتميز من العلم، لان مع العلم القطع.

_____ (1) سورة 76 الدهر آية 31. (2) سورة 3 آل عمران آية 13.